الجهجاه.. فيما كان الرجال يلبسون الحلل السوداء ويسيرون بالخيل المغطاة بالسواد. وعلى كل جواد سيف منكس فيما وفدت إليه مشايخ البلاد وأعيانها يعزونه بموت الجهجاه.

كذلك فعل يوم قتل حفيده (الكنج) قتله عمه سعيد في عراك عائلي.

المؤامرات تتوالى

عاد ابنه عثمان ليثور عليه طالباً منه ولاية (شفا عمرو) واستطاع أن يؤلب دروز منطقة (صفد) على أبيه وأن يحشدهم للقتال معه فجاؤوا وعسكروا في قرية (أبي سنان) مقابل (عكا). ولكنه حشد لديه (أحمد) و(علي) وفاجأ المتآمرين، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وهرب عثمان إلى عرب الصقر واحتمى بهم ولما طلب ظاهر منهم أن يطردوه رفضوا طلبه ذلك بإباء عجيب، إلا أن وزير (ظاهر) (إبراهيم الصباغ) استطاع أن يعيد المياه إلى مجاريها بين الأب والابن وعاد عثمان إلى أبيه خاضعاً مطيعاً راجياً منه السماح والعفو.

وجاء دور علي

كان علي أشجع أولاد ظاهر وأبسلهم، وساعد أباه في جميع حروبه مع أعدائه وخصومه، إلا أنه كان يطمح بالحصول على بلدة (دير حنا) وطالما طلبها من أبيه، ولكن الأب الذي كان يخشى من اتساع نفوذ أولاده جعل يصدهم واحداً بعد الآخر، ولما داهم (علي) (دير حنا) بخيله ليأخذها عنوة حشد ظاهر عساكره وهيأ مدافعه، وعرض قوته بشكل أذهلت علياً فعاد إلى صوابه، وألبس ولديه (الحسن والحسين) البياض ووضع في عنق كل منهما محرمة بيضاء وأرسلهما إلى جدهما ليطلبا العفو له.

ولما أقبلا عليه، ترجلا سريعاً إجلالاً له، فمنعهما ثم تقدم فعانقهما وقبلهما وقال لهما: "لقد غلبني أبو كما بكما". ثم أو لم (ظاهر) وليمة كبرى.. أكل منها الجميع.. وعاد إليهم الصفاء والسرور.

الدولة العثمانية تتآمر عليه

أخذ الولاة المحيطون ببلاد ظاهر يتوجسون خيفة منه ويكتبون للباب العالي في استنبول، حتى جاءت الأوامر لظاهر تأمره برفع يده عن (صيدا).